»وريثة الصحراء« مجموعة سعاد الكواري الشعرية رياح الداخل وميكروفيزياء التيه*

شعر

وديعة الصحراء

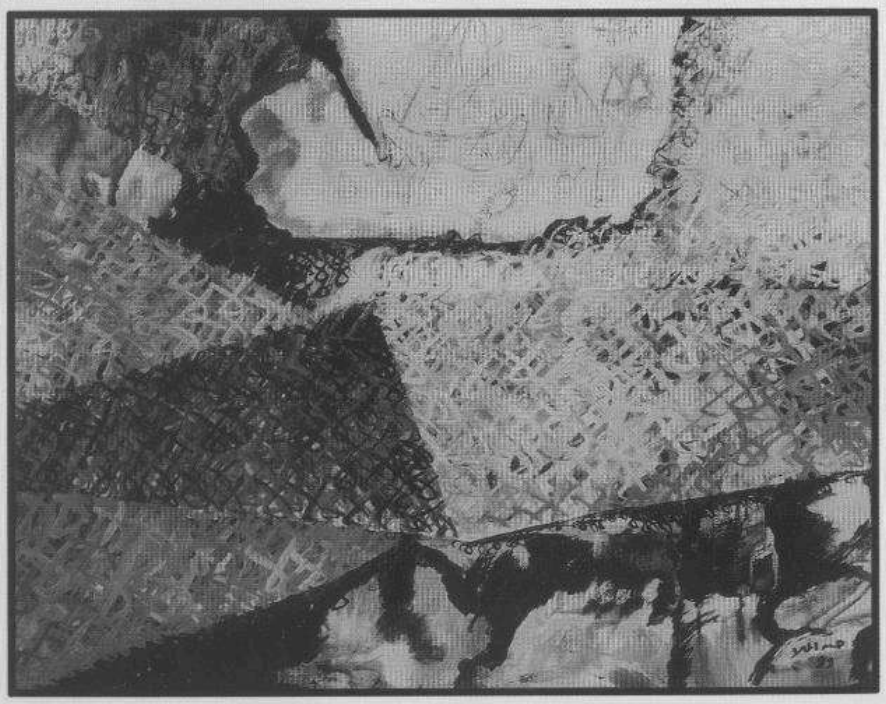

سعاد الكواري

المؤلف: مطر علي

التاريخ: 11-09-2001

رقم العدد:9000

تتكرر عبارة »الريح« في مجموعة سعاد الكواري »وريثة الصحراء«، اثنتين وعشرين مرة. تقريبا، لا تخلو قصيدة من تلك العبارة، سأعرضها جميعها بالترتيب: 1 وحدها الريح ستسابق نفسها. (ص12) 2 وحدها الريح ستنسحب من هذا الغناء الكئيب (ص 12) 3 أتذكّر ايضا قهقهته (ابيها) كلما سكنت الريح (ص 13) 4 فامنحيني حنانك ايتها الريح، ايتها الام... (14) 5 واسمع ايضا انين الريح وهي تقطع الطريق (16) 6 تورجحني الريح (19) 7 ليت الريح لا تتوقف عن هز الكرسي كي انام (19) 8 ام انني نبات شيطاني بذرته الريح؟ (21) 9 لم احلم بهذا كله، الريح، الشمس، السهول (ص 25) 10 فإلى اي جهة ستمضين ايتها الريح (ص 28) 11 فتراجعي ايتها الريح وادخلي في قلب التابوت. (ص 28) 12 المرأة الفاتحة بيتها للريح تعدّ وليمة كبرى (36) 13 لتكن الريح اول المسافرين، لن اسابقها (36) 14 يا من تسللت الى حقلي فلا هدأت ريح (ص 47) 15 الريح تُصفّر من بعيد، اسمع صدى موسيقى (ص 55) 16 ريح مجنونة تهب من السراب (ص 62) 17 الريح جريحة تئن في الخرائب (64) 18 أقدامك اتركها للريح (68) 19 وانا احلّق تاركة جسدي بين أنامل الريح. (ص70) 20 هل ثمة ريح حقاً؟ (ص70) 21 هل ثمة ريح تتسكع بين الابواب المفتوحة؟ (ص70) 22 استمع لثرثرة الريح (ص 72) ... بعد هذا سأدّعي او افترض لا فرق، بأن سعاد الكواري تتماهى مع »الريح«. لا فرق، اذ الكتابة لعبة وكل منا يبدل قوانينها على هواه. تماهٍ، ولنقل ايضا استبدال »الأنا« بالريح. لن اجنح الى »فرويديّة« ما، سوى انها ليست »الأنا الاعلى« ولا »الأنا السفلى« (ال »هُوْ«) بل هي »انا« الطبيعة او الجغرافيا اذا صح التعبير، هي الجسد نفسه المقيّد و»المعتدى عليه« بحسب ميشال فوكو وربما تكون قصائد الكواري كلها تعبيرا آخر عما اختزله فوكو بعبارة الروح تعتدي على الجسد قالبا المفهوم اللاهوتي القديم »الجسد يُقيّد الروح. غير ان هذا التسلسل من جهة، والتبادل من جهة اخرى بين »الأنا والريح« لا يُفضي نهائيا الى ان الريح هي الجسد لكنها مُشتهاهُ بمعنى ما، بوصفها اصلا مفترضا له، اذ ان »الأنا« تشكك في ملامحها (»لم يحدث ابدا ان هذه المرايا عكستني كما انا (ص 30)، و»المرايا« التي وردت »جمعاً« ليست مرايا بالمعنى الحرفي، انها المشهد العام بكل أشكاله وتأثيراته (الرجل، المكان، الاب، الام، الجدّة، الاستاذ...). »الأنا« تشكك بملامحها داخلة في لعبة المرايا لتدل على ما يمكن تسميته »ميكروفيزياء« التيه ازاء ما وصفه فوكو نفسه »بميكروفيزياء السلطة«، حيث رأى الى الانسان في غرفة من المرايا ولم نعد نعرف من اي »مرآة« تأتي السلطة ايها المرآة وايّها

الاصل. ليست الريح هي الجسد، اذ في مقابل الثابت الموحش والمقيد في الجغرافيا الصحراوية التي يذخر النص بفرداتها، ثمة الريح، وحدها حرة ومنطلقة: »وأنا احلّق تاركة جسدي بين انامل الريح«. على ان انسنة الريح، واستعارة »الأنا« لها والتصاقها بها، (إذ هي لم ترد، تعبيرا عن ذلك، في قصائد الكوّاري، التي تبدو كقصيدة واحدة، بصيغة الجمع، »الرياح«) »قيدت« الريح من دون ان تحط من قدرها بوصفها قوة او »سلطة« طبيعية اذا صح التعبير، عبر نزعة تراجيدية امتلكها نص الكوّاري حيث لا يهزأ الشاعر التراجيدي من القدر بل يفضح قسوته مع الحفاظ على هيبته وضرورته. هكذا كأن الكوّاري »كوريثة للصحراء« بكل دلالات الصحراء على الثبات والقيد، تدرك الالتباس العميق الذي ينشأ عن التماهي مع »شيء« او »كائن« كالريح، وان حقل ترددها الوحيد يكمن في ذلك الالتباس فتسأل: »هل ثمة ريح حقا؟؟ هكذا تنفصل »الأنا« المفترضة وتذهب في النهاية الى وراثة »الثابت« كأنها في حالة قناعة واستسلام ضمنيين. أبعد من الريح فالمفارق في مجموعة الكوّاري، هنا، ان قصيدة »وريثة الصحراء« التي حملت المجموعة اسمها لم ترد فيها عبارة »الريح« ولا مرة، تتخلى كليا (ظاهريا ربما) عن التماهي مع الريح وتصبح الأنا دون »اعلاها« و»أسفلها« الأنا العادية، »وريثة الصحراء«. هكذا، ايضا، في المسح على خط الدائرة العامة للنص، حيث تمت انسنة الريح تصبح الريح شأنها شأن الجسد جسد الشاعرة وريثة للصحراء بدورها، اذ في »وريثة الصحرا« وهي القصيدة الاطول (29 صفحة) تتكرر عبارة »وريثة الصحراء« وكأنها بدل عن »الريح«، في حين، وزيادة في المفارقة، ترد عبارة »الريح« للمرة الاخيرة في قصيدة »ثرثرة الريح« (ولمرة واحدة في عنوان): »استمع لثرثرة الريح« كأنها تطوي »صفحة« التماهي مع المتحرك (الريح) التي تصبح احيانا، »عاصفة« و»زوبعة« لتدخل، عائدة، الى صفحة الثابت معلنة مع ذلك »لاعدالته« او ربما »عدالته« دون ان تقصد« (1) . لنقل كل ذلك جسد واحد بأبعاد مختلفة ومتعددة، هنا، تنجح، الكوّاري عبر نصها الهذياني المتدفق »كعادتي دائما ابدأ يومي بالهذيان« (ص 10) برسم تلك الأبعاد والتعبير عنها بالنزعة التراجيدية ذاتها. * من منشورات قطر

البحث في الأرشيف الكامل لجريدة "السفير"

الكلمات الدالة

الكواري سعاد | قطر | الشعر العربي

جميع الحقوق محفوظة، شركة السفير ش.م.ل
للتواصل معنا archives.assafir.com